(١٧) صفقة الدم

- مرتزقة .. مجموعة كبيرة من المرتزقة ..

هتف مدير المخابرات بهذه العبارة فى توتر عنيف وهو يجلس مع الوزير والمسئول تفصلهم منضدة بسيطة امتلأت بكومة من التقارير والصور لمعدات عسكرية وجنود أجانب وزنوج بكامل عتادهم .. فى حين ردد المسئول هاتفاً :

- مرتزقة ..

اعتدل مدير المخابرات فى جلسته وهو يضيف بجدية شديدة تبرز خطورة الموقف:

- نعم .. لقد رصد رجالنا مجموعات كبيرة من الجنود المرتزقة تعبر حدودنا فى الوقت الذى صدرت فيه أوامر سيادية عليا بعدم اعتراضهم بحجة أنهم قوات دولية جاءت لمساعدة الاجهزة الأمنية فى ردع المتمردين ..

هتف المسئول فى حنق :

- هذا ما ينقصنا .. جنود مرتزقة ..

زفر الوزير فى ضيق شديد وهو يتمتم :

- وسيلة الطغاه المعتادة لانتهاك حقوق الإنسان وإعاقة ممارسة حق الشعوب في تقرير مصيرها .. يحاولون اخماد الثورة ولكنهم يتناسون بأن الشعوب دائماً ما تنتصر كما علمنا التاريخ ..

(ثم استطرد متسائلاً لمدير المخابرات فى حزم مقتضب) .. من هم ؟

أجابه مدير المخابرات فى سرعة :

- هم مجموعات مسلحة من مختلف الجنسيات الاجنبية وخصوصاً من الدول الأفريقية بعضهم ضباط متقاعدين من فرق المظلات والقوات

الخاصة وأكثرهم جنود تمت اقالتهم ينتمون الى شرطة الشغب والمهمات الخاصة ..يعشقون الدم وأجواء الحرب ..يبيعون خدماتهم لمن يدفع ..وينفذون عملياتهم بدون أدنى رحمة يمارسون أعمالاً لا تخطر على بال ، وأخطر بكثير مما يفعله الجنود النظاميين ، ولا ينطبق عليهم ما ينطبق على البشر لأنهم بلا مشاعر ولا ضمائر.. أيضاً رصدنا بينهم أعضاء فى عصابات دولية ومنظمات اجرامية .. و.. ..(صمت لحظات ثم تابع).. لدينا معلومة مؤكدة بأن من يحركهم الأن ويصدر لهم الأوامر هو سيناتور أمريكي سبق وأن استعان بهم من قبل أكثر من مرة لتنفيذ بعض العمليات السرية الغير مشروعة فى فيتنام وكولومبيا والعراق وافغانستان لخدمة المصالح الامريكية فى هذه المناطق..

ساد الصمت للحظات قليلة بعدها غمغم الوزير وهو ينظر فى الفراغ وعقله غارقاً فى التفكير:

- المرتزقة .. ثاني أقدم مهنة فى التاريخ ..

فقال المدير مضيفاً :

- هناك افراد وشركات ومنظمات ومصانع اسلحة وسياسيون ورجال أعمال يعيشون بيننا فى هذا العالم ويجمع بينهم أمر واحد .. القتل لأجل المال..

وهنا تدخل المسئول هاتفاً :

- من المؤسف أن دولاً كثيرة تصدر تشريعاتها لتجريم هذه المهنة ولكنها فى نفس الوقت تستعين بهم لتنفيذ مصالحها العليا.. (ثم صمت لحظات بعدها استطرد متسائلاً) .. ولكن ما خططنا الأن؟؟ هذا الابن القاتل يريدها حرب شوارع وجيشنا صغير تم اهمال تطويره لسنوات عديدة وامكانياتنا الحالية لن تضمن لنا الاستمرار فى المقاومة مدة طويلة فى ظل وجود هؤلاء

المرتزقة الذين وبحسب تقارير المخابرات سيكونون فى قلب العاصمة بعد ثلاث ساعات من الأن ..

تمتم الوزير وسط تفكيره العميق مكررا عبارة المسئول :

- ثلاث ساعات من الان .. (ثم استطرد في غيظ وغضب واضحان) اللعنة على هذا الابن ..لم يكتفى بتحويل البلاد من نظام جمهورى الى نظام يحمل مزيجا من الجمهورية والملكية بل يصر على دفع الوطن الى طريق الدم والخراب..

قال المدير:

- يستحق بالفعل ان يكون بلغة مصطلحات السياسة ابن الجملوكية ..

هتف المسئول :

- بل هجين .. لا تنسى انه من أصول انجليزية ..

عاد الوزير يردد :

- هجين الجملوكية (ثم هتف مستطردا لهما فى حزم صارم) ليس أمامنا غير الكفاح والنضال ..هذا المعتوه يريد سفك دماء بنى وطنه من أجل تحقيق مصالحه الشخصية وعلينا أن نقاومه حتى أخر قطرة من دماءنا..

(ثم أضاف فى حماس شديد) لن ننهار أو نستسلم .. لقد قال القدر كلمته وألقى علينا مسئولية انقاذ هذا الوطن الذى ينادي بأعلى صوت مطالباً بإنقاذه .. وعلينا أن نلبي النداء .. نداء الواجب ..

فهتف المدير والمسئول فى صوت حماسي واحد :

- ونحن فداءً للوطن ..

فهتف الوزير فى سرعة وبمزيج من الحزم والصرامة :

- فلنجمع كل المخلصين من أبناء الوطن .. جنود ، قادة ، عمال ، طلبة ، شباب ، موظفين .. الكل سيشارك فى انقاذ الوطن .. سنصنع فرق مقاومة

قتالية فدائية من المتطوعين نقودها نحن بأنفسنا فهؤلاء المرتزقة محترفين لذا لابد أن نضع خطط غير تقليدية لمقاومتهم وهزيمتهم ..سنجبرهم بإذن الله الى العودة خائبين مهزومين (ثم أشار الى التقارير والصور وهو يتابع) .. ولكن فى البداية أريد مراقبة مكثفة ودقيقة لكل تحركاتهم ..اريد تجهيز مجموعات رصد ومتابعة طوال الأربعة وعشرون ساعة ..

(ثم التفت بإتجاه الغرفة المجاورة منادياً) .. أيها الجنود ..

وفى لحظات كان الجنود يندفعون عبر الباب الفاصل بين الغرفتين ويصطفون امامه وبعد تبادل التحية العسكرية هتف بهم فى حماس :

- لقد حانت اللحظة .. كل جندي فيكم سيكون قائداً لفرقة مقاومة ..سنواجه الأعداء فى الداخل والخارج .. سنحول حياتهم الى جحيماً وسنجعلهم يندمون على أنهم تجرأوا وجاءوا الى بلادنا .. فهل أنتم معنا ؟؟

صاحوا بصوت هادر اهتزت له الجدران :

- كلنا معك ..

فصاح الوزير بقوة :

- كلنا مع الشعب .. (ثم استطرد) فلنمضي على بركة الله .. بإسم الله .. الوطن .. الثورة .. الشعب ..

فوقف المدير والمسئول والوزير وهتفوا مع الجنود بمنتهى الحزم والحماس :

- الله .. الوطن .. الثورة .. الشعب

و..

وبدأ الكفاح ..

*****

وفى القصر..

دلف السكرتير الخاص لابن الرئيس الى حجرة مكتب الاخير قائلاً له :

- قائد القوات الدولية وصل يا سيدي..

فهب الابن واقفاً وهو يهتف :

- أدخله بسرعة ..

وبالفعل ظهر على عتبة الحجرة رجل فى أوائل الخمسينيات من عمره بدا مميزاً جداً بملامحه القاسية التى تنطق بالاجرام وشعره الاشعث والسترة العسكرية التى بدت متناقضة مع السروال الازرق (البلو جينز) والحذاء الأسود الجلدي الرخيص .. باختصار كانت هيئته لا تتناسب أبداً مع فخامة المكان أو حتى مع مقولة (قائد القوات الدولية) وقد تجاهل الابن كل ذلك ومد يده يصافحه بابتسامة واسعة قائلاً له :

- مرحباً بك فى بلادنا ..

صافحه الرجل قائلاً فى اقتضاب وبصوت غليظ وهو يتأمل المكان بتمعن شديد بصورة تتنافى مع قواعد اللياقة :

- مرحباً ..

جلسا الاثنان فى ركن خاص بالغرفة وقال الابن والابتسامة لم تفارق وجهه:

- أتمنى أن تكون رحلتك الى هنا لم يصادفها أية مشكلات أو صعوبات..

قال الرجل فى برود :

- لا .. (ثم اضاف فى صرامة) حتى ولو حدث .. فنحن نستطيع التعامل مع أى مشكلة ..

تفحصه الابن بعينيه للحظات ثم قال :

- أليس غريباً فى أنك تتحدث اللغة العربية بطريقة سليمة..

ظهر شبح ابتسامة على وجه الرجل وهو يرد:

- أتحدثها وأقرؤها أيضاً .. نصف مهام جيشي كانت فى دول تتحدث اللغة العربية.

اتسعت ابتسامة الابن وهو يقول :

ـ جيد جداً .. لحسن حظي انكم كنتم في مهمة قريبة من بلادي لان التوقيت بالنسبة لي هام جداً..

قال الرجل فى صرامة:

- ولكننا لم نتفق بعد..

رد الابن فى سرعة:

- كل ما تطلبه ستجده .. ولكن من المهم تنفيذ مهمتكم هنا بأسرع وقت ممكن بالتعاون مع جهاز الشرطة لدينا..

هتف الرجل فى حدة بالغة :

- لكنني لا اتعاون مع احد..

رمقه الابن بنظرة طويلة ثم قال :

- التعاون والتنسيق بينكما سيضمن سرعة الانجاز وردع المتمردين

صمت الرجل للحظات ثم قال

- حسنا ..ولكن هناك شرط.

تنهد الابن وهو يسأل :

- ما هو؟

اعتدل الرجل فى جلسته وهو يقول بلهجة حاسمة :

- القيادة كلها تكون بيدي ودون مناقشة.. فأنا لا أتلقى الأوامر من أحد .

قطب الابن حاجبيه وهو يقول بشئ من الانفعال :

- ولكن هذا بعيد تماما عما اتفقت عليه مع السيناتور..

هتف الرجل :

- السيناتور ايضا اكد لي انه يضمن بان كل شروطي ستنفذ وعلي هذا الاساس جئت انا وجيشي الذى يعد من اقوى وأكبر الجيوش المأجورة فى العالم .

زفر الابن فى ضيق وحاول السيطرة على انفعالاته وهو يقول فى غضب مكتوم:

- وهل هناك شروط اخري؟؟

قال الرجل فى حزم :

- بالطبع فبعد دراسة سريعة قمت بها اثناء قدومي اليك للوضع هنا في وطنكم تبين انه لابد من زيادة الميزانية..

اتسعت عينا الابن فى دهشة حقيقية وهو يهتف باستنكار:

- هل تعني ان خمسة مليون دولار في اليوم لا تكفي..

اشار الرجل بيده قائلاً:

- بكل تأكيد فلدي ثلاثة الاف مقاتل اعتادوا الهجوم علي اهداف محددة وانت تطلب الانتشار في شوارع العاصمة وصد ومنع اي تظاهرات وفرض النظام والسيطرة علي الوضع بالاضافة الي مراقبة ورصد تحركات قادة الثوار والقضاء عليهم كل هذا يحتاج الي المزيد من السلاح والعتاد وتجهيزات اخري لضمان نجاح مهمتنا هنا..

انعقد حاجبا الابن وهو يقول :

- المدينة صغيرة وهناك مخازن سرية للاسلحة ستكون تحت سيطرتك بالاضافة الي ان المئات من رجال الامن سيكونون معكم.. كما أنني قمت بتجهيز معسكر كبير مجهز تماماً لاستضافتكم وعلى درجة عالية من التأمين..

فتساءل الرجل فى اقتضاب:

- وجيشكم ؟؟

اجابه الابن فى سرعة :

- استطيع ضمان ان تستعينوا ببعض العتاد من جيشنا ولكن من الافضل عدم الاعتماد علي ذلك او التعاون مع فرد من افراد جيشنا لانني لا اضمن ولاءهم الكامل لي..

أومأ الرجل برأسه ثم التقط نفساً عميقاً وهو يقول :

- المطلوب ١٠ مليون دولار..

هتف الابن فى عصبية :

- هذا يعنى ضعف المبلغ المتفق عليه .. فلنجعلها سبعة ملايين ..

قال الرجل فى حسم صارم :

- عشرة ملايين دولار غير قابلة للنقاش .. والا فانت تضيع وقتي ووقتك في الهراء..

لوح الابن بيده وهو يقول بإعتراض واضح :

- ولكن ميزانية الدولة لا تسمح بدفع هذه المبالغ الكبيرة ..

مال الرجل الى الامام وقال بلهجة حادة شرسة :

. ميزانية الدولة .. هل تتصور انني غر ساذج او فرد من حكومتك او مندوب عن دولة ما يجلس معك للتوقيع علي اتفاقية تعاون هزلية من تلك التي توقعونها لمجرد الظهور علي الشاشات التليفزيونية كنجوم السينما ..

انني اعلم تماما انك تملك حسابات بالخارج بالمليارات ومن مختلف العملات الاجنبية .. فلا تلعب معي هذه اللعبة .. (ثم مال الى الامام أكثر وهو يقول ببطء وبصوت أشبه بفحيح الثعبان) هل تحب ان تسمع كم تبلغ حساباتك في البنوك السويسرية بالارقام حتي تاريخ امس؟ ..

تجمدت ملامح الابن وبدا انه سينفجر فى وجه الرجل الا انه تماسك وهو يقول فى برود :

- يبدوا ان احترافك يتعدى القتل ليصل الى التجسس ..

قال الرجل بفخر:

-.لذلك يطلقون علىّ الزعيم ..

فردد الابن فى خفوت :

- الزعيم ..

فهتف الزعيم فى ثقة :

- وبكل جدارة ..

اعتدل الابن فى جلسته وهو يقول بلهجة قوية:

- حسنا اريد ان اري ذلك علي ارض الواقع.

اشار الزعيم بيده قائلاُ:

- في هذه الحالة اريد ايداع قيمة اسبوع كامل مقدما علي رقم حسابي في رويال بنك باسكتلندا ..

فقال الابن فى سرعة :

- اعطني رقم حسابك وفي خلال ساعة واحدة سيتم ذلك..

أومأ الزعيم برأسه وهو يقول :

. جيد .. وكخطوة اولي لمهمتي هنا ساطبق حظر تجوال من الساعة السادسة مساءا حتي السادسة صباحا..

فهتف الابن :

- اوافق..

حدجه الزعيم بنظرة نارية وهو يقول فى خشونة :

- وأنا لا أنتظر موافقتك ..

احمر وجه الابن وظهر الغضب الشديد على ملامحه ولكنه تماسك مرة أخرى وقال وهو يزفر فى ضيق :

- حسناً (ثم عادت القوة الى صوته وهو يستطرد فى صرامة

- ولكني فى إنتظار النتائج التي ارجو تكون علي قدر ثقتك بنفسك..

ابتسم الزعيم وهو يقول بلهجة شيطانية :

- سوف تري باسرع مما تتصور..

فقال الابن :

- اتمني ذلك..

وهم بالنهوض من جلسته الا ان الزعيم قاطعه صائحاً :

- هناك امر اخير..

عاد الابن لوضع الجلوس وقال فى حنق واضح :

- هل ساقضي عمري كله في مناقشة مطالبك وشروطك..

تجاهل الزعيم تعليق الابن واستطرد قائلاً :

- هي قاعدة هامة في التعامل تعودت علي ذكرها للعميل قبل بداية كل مهمة وهي انني وافراد جيشي مهمتنا هي القتل .. مواجهاتنا كلها ستكون بالرصاص الحي .. وليس المطاطي .. بالقنابل اليدوية وقاذفات الصواريخ واللهب وليس بقنابل الغاز..

فهتف الابن بدون تردد :

- ما يهمني هو النتيجة..

فقام الزعيم من مكانه قائلاً :

. اتفقنا..

وتصافحا الإثنان ..

ورقص الشيطان فى جزل لنجاح الصفقة..

صفقة الدم..

والخيانة ..

*****